يقول إليوت « أعتقد أن لكل ما نأكله أثراً آخر فينا غير مجرد متعة الطعم والمضغ إنه يؤثر أثناء التمثيل والهضم ، وإنى أحسب ذلك يصدق تماما على ما نقرأ »[1] .

ومن ثم يصبح منطق الاختيار فى الفن من الأهمية بمكان ، يسنده فى ذلك الالتزام بالقيم ، فمن منطلق الاختيار ينظر كل فنان إلى موضوعه بطريقة خاصة تختلف - بالضرورة - عن منظور غيره لأنه شخص مختلف ، وربما اختار أشياء مختلفة ينظر إليها من زوايا متباينة ، وبترتيب مختلف من حيث الأهمية ، وهنا تظل القيمة جامعاً لهذه الخلافات ، بل تظل رقيبا عليها ، وربما كشفت جوانبها من خلال صداها لدى قراء الأدب الذين يعرف كل منهم ما يحب ، ومن واجبه أن يعرف ما ينبغي أن يحب ، ومن ثم يؤدى الأدب وظائف متكاتفة تزداد قيمتها دون أن تصل إلى حد التمزق الذى ارتآه إليوت حين قال « وآخر ما أتمناه هو وجود أدبَيْن : أدب للاستهلاك المسيحى وأدب للعالم الوثنى »[2] قاصداً بذلك ضرورة الاقتداء بمبادئ المسيحية على الصعيد الأخلاقى ، وإلا فليقذف بالأدب إلى عالم آخر وثنى يتلاءم معه . فإذا كان إليوت يضع فى حسابه ضرورة احترام الإدراك الدينى العام فى منطقة الإبداع وكذا فى عالم النقد ، فقد حاول مع ذلك أن يضع المسألة كلها فى صورة معقولة متزنة حين تأمل ألوان الالتقاء التى جمعها فى قوله : « أنا مقتنع بأننا نخفق فى إدراك كيف أننا نفصل أحكامنا النقدية عن أحكامنا الدينية فصلا كاملا ، ولكن غير معقول ، لو كان من الممكن أن يكون هناك انفصال تام لكان بها ، ولكن الانفصال ليس تاما ولن يكون ... »[3].

وعلى هذا النهج تلتقى إيجابيات الرؤى حول ضرورة الاعتداد بالجوانب الاجتماعية حين تسندها الجوانب الأخلاقية وتشد من أزرها ، ومن ثم لابد أن يوجد أدب كاشف عن كل جوانب الحياة سلباً وإيجاباً ، ويدخل فى هذا السالب ما اصطنعه بعض الرومانسيين حين بدا على قدر من التجاوز على حد وصف «ادموند فولر » في قوله : « كانت البداية على شيوع التصعلك المقبول ، وفى أولها لم تكن بأسوأ من إضفاء الرومانسية الخرقاء على كل وغد : رومانسية عاطفية مخمورة وقحة ... »[4] .

---

(١) مقالة إليوت (الدين والأدب ٦١ ومابعدها .
(٢) نفسه . (٣) خمسة مداخل ٥٨ .
(٤) نفسه ٦١ .